الرسالة
الثانية

ستة مواضع
من السيرة

سلسلة شرح الرسائل

٢ ـ شرح رسالة : ستة مواضع من السيرة

للإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم

فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه آمين:

تأمَّل رحمكَ الله ستةَ مواضع من السيرة، وافْهَمها فَهماً حسناً [١].

---

[١] بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ رحمه الله: (تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهماً حسناً) السيرة: المراد بها سيرةُ الرسول ﷺ، وهي الطريقة التي كان يسير عليها الرسول ﷺ منذ بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل في العبادة، وفي المعاملات، وفي الدعوة إلى الله عز وجل، وفي الجهاد، والهجرة، وفي التعليم، فكل أفعاله وأقواله وتصرفاته ﷺ هي سيرته عليه الصلاة والسلام، وهذا أمر مهم أن المسلم

. . . . . .

يدرس سيرةَ الرسول ﷺ من أجل أن يقتدي به؛ لأن الله جل وعلا قد جعله قدوة لنا، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو قدوتنا عليه الصلاة والسلام، فلندرس سيرته من أجل أن نقتدي به في ذلك، وهذا هو المطلوب من دراسة السيرة والتفقه فيها، ليس المقصود أن السيرة تُقرأ في مناسبة مبتدَعة مثل مناسبة المولد، فإن هذه القراءة لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأنها ليست للتفقه فيها، وإنما هي للتبرك جرياً على العادة فقط، فلا تفيد شيئاً؛ لأن تخصيصها بوقت معين ثم تطوى، هذا الأمر لا ينفع ولا يفيد، السيرة مطلوبٌ دراستُها دائماً، ولا نقصد بالدراسة مجرد أننا نقرأها من أولها إلى آخرها ونقول: قرأنا السيرة، لا لابد أن نتفقه فيها ونقتدي بالرسول ﷺ في أفعاله وأقواله، هذا هو المقصود.

وقد كتب الإمام ابن القيم رحمه الله كتاباً عظيماً في فقه السيرة وهو: (زاد المعاد في هدي خير العباد) و كتب بعض المعاصرين كتابات منها ما هو صحيح، ومنها ما هو سيء، ومنهم من انحرف وجاء بالشركيات، وحث على

لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه، ودين المشركين لتتركه [٢].

التبرك بالآثار، وجعل هذا هو المقصود من قراءة السيرة، ولكن هذا لا عبرة به؛ لأن كلًّا ينفق مما عنده، الذي عنده شيء جيد ينفق شيئاً جيداً، والذي عنده شيء رديء ينفق رديئاً، والحمد الله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم، ويهدي هؤلاء إلى سواء السبيل، وأن يردهم إلى الحق، ونحن لا نتندر بهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولكن نسأل الله العافية، نسأل الله أن يهديهم وأن يردهم إلى الصواب.

فالمقصود من دراسة سيرة الرسول ﷺ هو الاعتبار والعمل، والاقتداء بالرسول ﷺ، وأخذ الأحكام منها، هذا هو المطلوب؛ لأن حياته ﷺ كلها خير وكلها علم وكلها عمل صالح، كلها جهاد وكلها دعوة وكلها تعليم. حياته ﷺ فائضة بالخير العظيم من جميع النواحي، كلها عبادة. فعلينا أن نعتني بسيرته ﷺ. والشيخ أخذ منها ستة مواضع مهمة والبقية موجودة في سيرته ﷺ، لكن هذه المواضع تتعلق بالعقيدة.

[٢] هذا المقصود من دراسة السيرة، أنك تفهم دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تفهم التوحيد لتتبعه، وتفهم

. . . . . .

الشرك من أجل أن تجتنبه، فلا يكفي أن الإنسان يعرف الحق فقط بل لا بد أن يعرف الحق ويعرف الباطل، يعرف الحق من أجل أن يعمل به، ويعرف الباطل من أجل أن يتجنبه؛ لأنه إذا لم يعرف الباطل وقع فيه وهو لا يدري. فأنت عندما تسير في طريق وأنت لا تعرف هذا الطريق، وفيه حُفر وفيه مهالك، ربما تهلك وأنت لا تدري، تقع في الحفر وأنت ما دريت، لكنك إذا درست الطريق، فعرفت ما فيه من المسالك، وما فيه من الأخطار، فإنك تكون على بينة، تتجنب المهالك التي في الطريق. هذا في الأمور الحسية، كذلك في الأمور العقدية من باب أولى، فلا بد أن تعرف الباطل، تعرف الشرك وما هي أنواعه وما هي أسبابه، وما هي الوسائل التي توصل إليه حتى تتجنبها. يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقّيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه الصحابي الجليل يقول: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله

فإن أكثر من يدعي الدين ويدعي أنه من الموحدين لا يفهم السنة كما ينبغي [٣].

عن الشر مخافة أن أقع فيه(١). فلابد من معرفة الخير ومعرفة الشر، والبعض اليوم يقول: تعرف الحق، وليس من الضروري أن تعرف ما يضاده. وهذا باطل لأنك إذا لم تعرف الباطل يظل خافياً فتضل عن الحق، لاسيما ودعاة السوء ودعاة الضلال على استعداد لإضلال الناس.

[٣] المشركون يتقربون إلى الله بالشرك يظنون أنه خير؛ لأنهم لا يعرفون الشرك، فصاروا يتقربون به إلى الله!! فهم يذبحون للأولياء والصالحين، ويتبركون بقبورهم ويستغيثون بهم، ويقولون: نحن نعلم أنهم ليس لهم من الأمر شيء، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، لكن هم صالحون نريد منهم أن يتوسطوا لنا عند الله سبحانه كما قال الله عن أسلافهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم يعترفون أنهم لا يضرونهم ولا ينفعونهم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] اتخذوهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) (٥١)، وأحمد (٢٣٢٨٢)، وابن ماجه (٣٩٧٩).

. . . . . .

شفعاء فقط، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧] لم يتعلموا، فهم يحسبون أن هذا خير.

وهذا هو واقع غالب الناس اليوم، الكثير من المنتسبين إلى الإسلام هذا واقعهم، يتقربون إلى الله بالشرك، مثل ما تقرب المشركون الأولون، يذبحون للقبور وينذرون لها، ويطوفون بها ويتبركون بها، ويقولون: ما عَبَدْنا غير الله، لكن هؤلاء رجال صالحون، ونحن قصدنا أنهم يتوسطون لنا عند الله فقط. والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ما أرادوا الشرك ولا قصدوه، وإنما ظنوا أنهم يؤدون عبادة وقربة إلى الله سبحانه، يقربونهم إلى الله زلفى، انظر كيف يأتي الشيطان إلى بني آدم، وكيف يأتي شياطين الإنس إلى بني آدم ويزينون هذه الأمور، نقول لهم: أنتم ما تعبدون أصناماً، أنتم تتوسطون بالناس الصالحين بينكم وبين الله. والله ـ جل وعلا ـ اعتبر هذا شركاً فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ جعله عبادة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا

الموضع الأول: قصة نزول الوحي، وفيها أن أول آية أرسله الله بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧] [٤].

يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فسماه شركاً. وهم لا يسمونه شركاً، يسمونه طلب الشفاعة، فيجب التنبه لهذا.

أنت درستَ في العقيدة أن الشرك حرام وأنه أكبر الكبائر وأنه لا يُغفر، لكنَّ فهم الشرك أين هو؟ لابد أن تعرف من أعمال الناس وتطبيقاتهم ما هو شرك وما هو توحيد.

هم يقولون: هذا من التوسُّل بالأولياء والصالحين، وهذا هو التوحيد، وهذا يحبه الله، وأن هؤلاء عباده، وأنهم صالحون، والله يحب هذا. فيتقربون إلى الله بهؤلاء، يسمونه الدين ويسمونه التوحيد، يسمون الشرك توحيداً لجهلهم وعمى بصائرهم.

[٤] **الموضع الأول**: قصة نزول الوحي أي بدء الوحي على الرسول ﷺ. كان ﷺ قبل البعثة مخالفاً لما عليه المشركون، لم يعبد الأصنام، وكان مخالفاً لما عليه قومه،

. . . . . .

فكان يذهب إلى غار جبل حراء، وهو غار في أعلى الجبل مواجِهٌ للكعبة، فكان يجلس فيه الأيام والأشهر يعبد الله عز وجل ويعتزل عن الناس، يعبد الله عز وجل على دين إبراهيم، على الحنيفية دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، جاءه ملك وهو في الغار، فقال له: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» لأنه ما كان يقرأ عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] كان أمِّياً عليه الصلاة والسلام لا يقرأ ولا يكتب. والملك يقول له: اقرأ. وهو يقول: «لست بقارئ» يعني: لا أُحسن القراءة. ثم يضمه ضمة شديدة، ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «ما أنا بقارئ»، ثم يضمه ضمة شديدة ثم يرسله ويقول له: اقرأ. فيقول: «ما أنا بقارئ» أي: ما أُحسن القراءة. ثم في النهاية قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥] فحفظها النبي ﷺ، وهذا أول ما نزل عليه من الوحي، وصار بذلك نبيًّا نبأه الله باقرأ.

ثم ذهب إلى خديجة رضي الله تعالى عنها أم المؤمنين،

. . . . . .

وذكر لها ما حصل له، وكان خائفاً ترعد فرائصه مما رأى من هول الموقف ومجيء الملك إليه في هذا المكان، وقال لها: «لقد خَشيتُ على نفسي» فقالت: كلا والله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتَقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المُعدم ـ أو المعدوم ـ استدلت بصفاته ﷺ الطيبة على أن الله لا يوقع به ما يخشاه (لا يُخزيك الله أبداً)[1]؛ لأن صفاته صفات حميدة، وهذا من فِقهها رضي الله تعالى عنها، فهي أول من طمأن الرسول ﷺ وناصره وآنسه من هذه الوحشة، وهذا موقف عظيم منها ثم قال: «دَثِّروني» أي: غَطّوني، وغطته، وبينما هو كذلك جاءه الملك فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فصار بذلك رسولاً؛ لأنه بهذا أُمر بالتَّبليغ، وفي الأول لم يؤمر بالتبليغ، قيل له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لم يؤمر بالتبليغ، صار نبياً بذلك، ثم جاءته الرسالة وهي أنه أُمر بالتبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾

(١) أخرجه البخاري (٣) و(٣٣٩٢) و(٤٩٥٣) و(٤٩٥٥) و(٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة، يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا [٥]، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله مثل الحج والعمرة، والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك [٦].

الرجز: الأصنام، هذا محل الشاهد: وهجرها تركها والابتعاد عنها ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ لابد من الصبر؛ لأن المهمة ثقيلة جداً وطويلة وتحتاج إلى صبر، هذا أول ما بعث الله به رسوله ﷺ، بالنهي عن الشرك، أول شيء أمره بأن ينهى عن الشرك ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أنذر عماذا؟ أنذر الناس عن الشرك وعبادة الأصنام أنذرهم عنها. أول شيء أنه أُمر بالإنذار وأُمر بهجر الأصنام وتركها، مما يدل على خطورة الشرك.

[٥] هؤلاء أهل الجاهلية كانوا يمارسون القبائح الزنا والربا والكبائر.

[٦] ومع هذا عندهم بقايا من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ كانوا يحجون ويعتمرون، وكانوا يتصدقون على

وأجلّها عندهم الشرك، فهو أجلّ ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] [٧].

المحتاجين، هذه الأفعال طيبة لكن ليس معها توحيد. والعمل وإن كان عملاً طيباً، إذا لم يكن معه توحيد فإنه لا يفيد صاحبه.

ويعملون أعمالاً سيئة إلى جانب هذه الأعمال الطيبة، يعملون أعمالاً سيئة أعظمها الشرك، يفعلون الزنا ويأكلون الربا ويأكلون الميسر، وهذه كبائر، لكن أعظمها الشرك، من عبادة الأصنام وغيرها. ويتقربون بها إلى الله، يتقربون بهذا الشرك إلى الله من جهلهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] انظر كيف يفعل الجهل بأصحابه، يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، يجعلون الشرك توحيداً وتقرباً إلى الله عز وجل. وهذا يعطيك وجوب الاهتمام بأمر العقيدة وأمر التوحيد والفقه في ذلك.

[٧] اعترفوا أنهم يعبدونهم حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ لكن يقولون: ما قصدنا بهذه العبادة إلا أنهم يقربونا إلى الله،

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] [٨].

ويظنون أن هذا عمل طيب، لأنه تعظيم لله وإجلال لله، حيث إنهم يقربوننا إليه لأننا لا نصل إليه إلا بعبادتهم، فهم يقربونا إلى الله لأنهم صالحون، وهم يعنون الملائكة، ويعنون الأنبياء مثل عيسى عليه السلام، يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله ليقربوهم إلى الله زلفى.

[٨] كيف اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، وهم يتقربون بالصالحين، بعيسى وبعزير، وبالملائكة؟ نعم اتخذوا الشياطين؛ لأن هؤلاء الصالحين لا يرضون بذلك، ولم يأمروهم بذلك، وإنما الذي أمرهم بهذا الشياطين، هي التي أمرتهم بعبادة المسيح وعبادة الملائكة وعزير، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، فهم يعبدون الشياطين في الحقيقة حيث أطاعوهم في عبادة هؤلاء ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، يحسبون أن هذا هو الهدى، وأنه طريق خير وطريق صلاح، ولهذا يقول جَلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن

فأول ما أمره الله به الإنذار عنه، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما [٩].

نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٨] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى أن يُعبد غيره معه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١] فالملائكة تبرؤوا منهم وأخبروا أنهم ما أمروهم بهذا، وإنما الذي أمرهم بهذا هم الشياطين من الجن والإنس، فصارت عبادتهم للشياطين الذين أمروهم. فبرأ الله عباده الصالحين من أن يأمروهم بذلك. ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون، فدل على أنه ليس العبرة أن يكون الإنسان حسن النية، أو كونه ما قصد الشر، ليس العبرة بهذا، العبرة بالاتباع للرسل ومن سار على نهجهم وحسنُ النية مع قبح الفعل لا ينفع، فلم يكن هذا عذراً لهم؛ لأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكار ذلك.

[٩] أول ما أُمر الرسول ﷺ بالإنذار عن الشرك حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] وذلك قبل أن يؤمر

وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم [١٠].

بالإنذار عن الزنا وشرب الخمر وأكل الربا، إنما هذه نُهي عنها فيما بعد، ولكن أول ما أُمر به ترك الشرك. لم يقل: حذرهم من الكبائر ومن الزنا ومن الربا ومن الخبائث التي كانوا يعملونها، بل أول ما أمره بالنهي عن الشرك.

وأول ما أُمروا به التوحيد قبل أن يؤمروا بالصلاة والزكاة والصيام والحج؛ لأن التوحيد هو الأساس، ولا فائدة في الصلاة والحج والصيام والأعمال الصالحة مع عدم وجود التوحيد.

[١٠] كانوا في الجاهلية متشتتين في عباداتهم ومعبوداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، والنبي ﷺ لم يُفرق بينهم، بل نهاهم جميعاً وقاتلهم جميعاً، لم يُفرق بين من عبد الملائكة والصالحين ومن عبد الأصنام؛ لأن الكل سواء؛ لأنه لافرق بين من يعبد صنماً، ومن يعبد ولياً أو عبداً صالحاً.

ويقولون: ما نريد منهم إلا شفاعتهم [١١].

ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها، فإن أحكمت هذه المسألة فيا بُشراك [١٢].

خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس [١٣].

---

[١١] يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا قصدهم، تقربوا إلى الله بعبادتهم هؤلاء، ما قصدهم الشرك، وإذا كانت الأفعال شركاً وكفراً فلا يُنظر إلى المقاصد هل هي حسنة أو ليست حسنة.

[١٢] أي: إذا فهمت هذه المسألة، أن أول ما يؤمر به التوحيد، وأول ما يُنهى عنه الشرك، فإنه لا فائدة في صلاح باقي الأمور مع فساد العقيدة، هذه مسألة عظيمة ومطلب عظيم يجهله كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم. فإذا فهمته فيا بشراك بالعلم النافع.

[١٣] أي ليس بعد هذه المسألة التي هي التوحيد أعظم من الصلوات الخمس؛ لأنها الركن الثاني من أركان

ولم تفرض إلا في ليلة الإسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين [١٤].

الإسلام بعد الشهادتين، ومع هذا لم يأمر الله عز وجل بالصلوات الخمس إلا قُبيل الهجرة، فالرسول ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يؤمر بالصلاة، وإنما أُمر بالصلاة قُبيل الهجرة في ليلة المعراج، فلماذا تأخر الأمر بالصلاة؟ من أجل أن يتأسس التوحيد؛ لأنهم لو صلوا ما نفعتهم صلاتهم إلا مع التوحيد.

[١٤] إنما فُرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من البعثة، وقصة الحصار أن الرسول ﷺ كان يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، وكان المشركون يضايقونه ويضايقون أصحابه، وكان عمه أبو طالب يدافع عنه ويحميه من أذى قومه، سخره الله له مع أنه مشرك، لكن الله ـ جل وعلا ـ سخره لنبيه يحميه ويدافع عنه. فلما مات أبو طالب وماتت زوجة النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها، وهما اللذان يدافعان عنه، تسلط الكفار عليه زيادة، وضيقوا عليه الخناق هو وأصحابه، وكانوا من قبل قد

. . . . . .

حاصروهم في الشعب، في شعب من شعاب مكة، وقاطعوهم، منعوا عنهم الأرزاق والبضائع، ومنعوا التزوج منهم، حاصروهم في هذا الشعب حتى آلمهم الجوع. وكتبوا بذلك صحيفة وقعوا عليها وعلقوها في الكعبة لمقاطعة محمدٍ ومن معه؛ ولما مات الذي كان يدافع عنه فسنحت لهم الفرصة فاشتد أذاهم له ومن معه ومع هذا ما أُمر بالصلاة من بعثته إلى هذه الفترة؛ لأن المقام مقام تصحيح عقيدة قبل كل شيء.

ولما اشتد أذاهم على الرسول ﷺ وضايقوه، أمر من معه من ضَعَفة الصحابة، ممن ليس لهم من يدافع عنهم، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن فيها ملكاً وهو النجاشي لا يُظلم أحد عنده، وهو نصراني إذ ذاك، لكن لا يُظلم أحد في أرضه، هذه هي الهجرة الأولى، وفيهم عثمان وفيهم من أكابر الصحابة، وذلك لأجل الفرار بدينهم، وكان هذا سبباً لإسلام النجاشي رحمه الله، حين سمع القرآن وسمع من الصحابة وهداه الله للإسلام فأسلم، وأرسلت قريش إلى النجاشي بهدايا ومغريات، يقولون: هؤلاء مارقون شاردون منا ردهم علينا. فأبى أن يردهم عليهم. فكذب الله ظن

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة، كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة [١٥].

المشركين وعادت رسلهم خائبين، واستمر النجاشي رحمه الله في حماية المسلمين عنده إلى أن قيض الله الفرج.

[١٥] إذا عرفت هذه المسألة، وهي مسألة أنهم ما عادوا رسول الله ﷺ وضايقوه وحاصروه هو وأصحابه إلا من أجل الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وإلا لو سالمهم وعبد ربه هو ومن يتبعه وتركهم، ما قالوا له شيئاً، بل كانوا سيفرحون بهذا. وهذه دعوة أهل الكفر اليوم يقولون: دعونا نتعايش ودعونا نتهاود، ولا تقولوا شيئاً في ديننا، ونحن لا نقول شيئاً في دينكم، وهم يكذبون لأنهم يحاربون الإسلام، وهم يقولون: أنتم لا تقولوا في ديننا شيئاً ونحن لا نقول في دينكم شيئاً. وهم يحاربون الإسلام على أقصى ما يمكن، ويقتلون المسلمين ويشردونهم وهم يقولون: دعونا نتحاور ونتهاود.

ولو أنه ﷺ ما دعا إلى التوحيد ولانهى عن الشرك، ما ثارت ثائرتهم.

الموضع الثاني: أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد [١٦].

لم يكرهوا ذلك واستحسنوه وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة [١٧].

---

[١٦] لو كان يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك عموماً ولم يتعرض لما هم عليه، وهم يقولون: الذي نحن عليه ليس بشرك، الذي نحن عليه تقرب إلى الله بالأولياء والصالحين، ونحن لا نشرك بالله إنما هذا تقرب إلى الله وتوسل إليه. ولو أن الرسول اقتصر على النهي عن الشرك دون تفصيل وبيان، لما اعترضوا عليه؛ لأنهم يرون أنهم غير مشركين.

[١٧] أي: لأنهم يفسرون الذي هم عليه أنه ليس بشرك، لكن عندما تقول لهم: هذه الأضرحة وهذه القبور التي تعبدونها وتنذُرون لها وتذبحون لها، عملكم هذا هو الشرك، عند ذلك تثور ثائرتهم، هذا هو الذي فعله الرسول ﷺ، نهاهم عن عبادة اللات والعُزى ومَناة والأصنام، وقال لهم: لستم على شيء، وهؤلاء الذين يدعونكم إليها هؤلاء علماء

وقالوا: سَفَّهَ أحلامنا وعابَ ديننا وشتم آلهتنا [١٨].

ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين [١٩].

لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً [٢٠].

ضلال، فحينما قال لهم ذلك ثارت ثائرتهم حمية لدينهم، وهذا هو الذي عليه غالب العالم اليوم.

[١٨] لو أنه ما شتم آلهتهم ولا عاب دينهم ما قالوا له شيئاً، فلو اقتصر على قوله: الشرك قبيح والتوحيد طيب، ولا عاب آلهتهم ولاسب دينهم، لما عارضوه.

[١٩] الرسول ﷺ ما سبَّ الصالحين، وإنما سب عبادةَ غير الله عز وجل، وبين أن أنبياء الله وعبادَه الصالحين والملائكة لا يرضون أن يُعْبَدوا من دون الله.

[٢٠] لما قال: إن عيسى لا ينفع ولا يضر، وإن الملائكة لا تنفع ولا تضر، وإن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، عدُّوا ذلك تنقصاً للصالحين، ويقولون لأهل التوحيد: أنتم لا تبنون على أضرحتهم. وهذا من حقهم علينا. يقولون:

فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ـ ولو وحد الله وترك الشرك ـ إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾ الآية [٢١].

حقاً علينا إكرامهم والبناء على قبورهم، هذا من حقهم علينا، وهذا من تقديرهم، وعندما نتوسل بهم إلى الله، هذا من تقديرهم وتعظيمهم، وأنتم تقولون: هذا باطل. ويعتبرون هذا شتماً وسباً لهم. هذا الذي يفسرون به أعمالهم، وهذا موجود الآن على ألسنتهم وفي كتبهم.

[٢١] هناك من ينتسبون للدعوة والعلم ولا يرضون بمعاداة الكفار ويقولون: إنما أمرنا بعداوة المحاربين فقط، يقولون: نعاديهم لأنهم حاربونا، لأنهم أخذوا أوطاننا، أما أن نعاديهم من أجل دينهم فلا نعاديهم.

والله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]

فإذا فهمتَ هذا فهماً جيداً عرفتَ أن كثيراً من الذين يَدَّعون الدين لا يعرفونها [٢٢].

فلم يقتصر على المحاربين فقط، بل إن الله جعل سبب الكره لهم هو المحادة لله ولرسوله، وأي محادة لله ورسوله أعظم من الكفر، وأعظم من الشرك بالله عز وجل؟ لا تجوز مودة الكفار كلهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني محبوبين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

[٢٢] هذا صحيح، فإنك لو تسأل كثيراً من العلماء والمتعلمين عن هذه المسألة، مسألة الولاء والبراء، تجدهم لا يعرفونها، يقولون: لا يلزم بُغْضهم، ديننا ما هو دين عداوة، ديننا دين مودة ودين مصالحة ودين كذا، يعتبرون هذا من مدح الدين، فمودة المشركين ـ عندهم ـ لا بأس بها، ويعتبرونها من المصالحة معهم. ونقول: مصالحتهم على أمور السياسة لا مانع منها، لكن مصالحتهم على ترك بعض أمور الدين لا تجوز.

وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة [٢٣].

مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] [٢٤].

---

[٢٣] ما سبب ما نال المسلمين في مكة؟ هل لأنهم مسلمون يصلون ويصومون؟ لا.. بل لأنهم أبغضوا الكفار وعادوهم، ونهوا عن الشرك بالله عز وجل، هذا هو السبب، وإلا لو أنهم صاموا وصلوا واشتغلوا بالذكر ولم يتعرضوا لأحد، ما حصل لهم أذى بالضرب والحبس والأسر، ولما احتاجوا إلى الصبر؛ لأن الصبر لايكون إلا على شيء مكروه.

[٢٤] مع رحمته ﷺ بأصحابه ما رخص لأصحابه بالتنازل عن شيء من الدين، ما رخص لهم في هذا مع أنه رءوف رحيم عليه الصلاة والسلام فلو وجد لهم رخصة في ترك إظهار الدين لرخص لهم. بل إن الله أنزل عليه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لكن إذا جاء الامتحان، إذا أوذي في الله، إذا أوذي بسبب قوله: آمنت بالله، وبسبب توحيده

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه فكيف بغير ذلك؟ [٢٥].

الموضع الثالث: قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: (تلك الغرانيق العلى، وإن

فإنه يتراجع عن دينه، يجعل فتنة الناس كعذاب الله، يفر من أذية الناس في الدنيا إلى عذاب الله في الآخرة، مثل الذي استجار بالنار من الرمضاء، وإذا لم يصبر على أذى الناس، كيف يصبر على النار يوم القيامة؟ يلزم العكس أنه يفتدي أذى النار بتحمل أذى الناس، والصبر على دينه، أما أنه يفتدي بدينه من أذى الناس، وينسى النار التي أمامه، فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار، كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

[٢٥] إذا كان هذا الوعيد في حق من وافق الكفار بلسانه من غير إكراه ليعيش معهم، فكيف بمن وافقهم بفعله من أجل مصالحه الدنيوية؟

شفاعتهن لتُرتجى) فظنوا أن رسول الله ﷺ قالها، ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه: هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافَوه، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلى شر مما كانوا عليه. ولما قالوا له: إنك قلت ذلك. خاف من الله خوفاً عظيماً، حتى أنزل الله عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٥٢].

فمَن فهم هذه القصة، ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يُفرق بينه وبين دين المشركين، فأبعده الله، خصوصاً إن عرف أن قولهم: (تلك الغرانيق) يراد بها الملائكة [٢٦].

---

[٢٦] هذه القصة التي ذكرها الشيخ من قصص السيرة النبوية تسمى قصة الغرانيق، وهي كما ذكر أنه ﷺ لما قرأ

. . . . . .

سورة النجم في مكة وعنده المشركون والمسلمون، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] فهي أكبر أصنام العرب، اللات: في الطائف. وكما سبق بيان هذا أنه رجل صالح كان يُطعم الحجيج، فلما مات عكفوا على قبره يتبركون به على طريقة التبرك بالصالحين، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، ويطلبون منه الشفاعة عند الله؛ لأنه رجل صالح.

والعزى: هي صنم لأهل مكة قريباً من عرفات، وهو عبارة عن شجرات عليها بنية يتبركون بها، وأما مناة: فهي صنم بين مكة والمدينة قريباً من المدينة، عند المشلل قريباً من جبل قديد، وكانت للأوس والخزرج، وكانوا يُحرِمون من عندها بالحج تعظيماً لها. والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: أخبروني عن هذه الأصنام، هل نفعتكم وهل ضرتكم؟ بل إنها لم تدفع عن نفسها؛ لأن الرسول ﷺ لما فتح مكة هدمها، ولو كانت آلهة لمنعت عن نفسها ودافعت عن نفسها. فالله يوبخ المشركين الذين تعلقوا بهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

. . . . . .

فلما قرأ الرسول ﷺ هذه الآية ألقى الشيطان ـ أي صوت الشيطان ـ بكلمات دَسَّها في تلاوة النبي ﷺ وهي: (تلك الغرانيق العُلى وإن شفاعتهن لتُرتجى) هذا كلام من الشيطان، دسه في تلاوة الرسول ﷺ، والرسول لم يعلم بذلك، ولكن المشركين سمعوه ففرحوا وقالوا: ذكر آلهتنا بخير، وهذا الذي نريده، نحن لا نقصد منها إلا الشفاعة، وإلا نحن نعلم أنها لا تنفع ولا تضر، ولكن نحن نريد شفاعتها، ومحمد قال: وإن شفاعتهن لتُرتجى، فلما بلغ ﷺ آخر السورة وهو قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم: ٦٢] سجد فسجد معه المسلمون، وسجد المشركون فرحاً بهذه الكلمات الشيطانية، حتى إن الوليد بن المغيرة لماكان كبير السن لم يستطع أن يسجد على الأرض، فأخذ حفنة من تراب فسجد عليها.

فشاع الخبر أن الرسول ﷺ تصالح مع المشركين، وأنه أقرهم على عبادة اللات والعزى ومناة من أجل طلب الشفاعة، ووصل الخبر إلى المهاجرين في أرض الحبشة من المسلمين، أن الرسول تصالح هو والمشركون أو أن المشركين أسلموا، فعادوا من الحبشة، فلما وصلوا إلى

. . . . . .

مكة وجدوا هذا الخبر غير صحيح، وأن المشركين ما زالوا على عداوتهم للرسول ﷺ وتضييقهم على المسلمين.

فلما أخبروا النبي ﷺ أنه قرأ هذه الكلمات: (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لتُرتجى) حزن حزناً شديداً، وأصابه هم شديد، حتى أنزل الله قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٥] فأبطل الله ما ألقاه الشيطان في تلاوة الرسول ﷺ ونسخه، يعني أزاله، وأحكم أي ثبت آياته التي أنزلها في ذم الأصنام وعبادتها.

هذا حاصل القصة، وقد وردت هذه القصة عن ابن

. . . . . .

عباس متصلة بسند، ووردت عن بعض التابعين بأسانيد مرسلة، وبعضُ العلماء أنكرها ومنهم ابن كثير، وقال: إنها لم ترد إلا من طرق مرسلة ومنقطعة تكلموا فيها. ولكن الحافظ ابن حجر في فتح الباري له رأي غير رأي هؤلاء، يقول: القصة جاءت من طرق مختلفة متباينة المخارج، فهي تتعاضد ويقوي بعضها بعضاً. هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر.

مقصود الشيخ من إيرادها أن المشركين يقولون: نحن لا نعبد هذه الأصنام على اعتقادِ أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنما نعبدها طلباً للشفاعة بأن تشفع لنا عند الله سبحانه وتعالى. فالله أبطل هذا وأقر القرآنَ على ما هو عليه من إبطال عبادتها، وأبطل ما ألقاه الشيطان في تلاوة النبي ﷺ، وسلى نبيه وأذهب عنه الحزن بأن هذا يجري مع من قبلك من الرسل فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢] يعني: تلا، فالتمني هنا معناه التلاوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي: تلاوة فقط ولا يعرفون المعاني، وكما في قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

. . . . . .

تمنى كتاب الله أول ليله

وآخره لاقى حمام المقادر

وهي الليلة التي قُتل فيها رضي الله عنه، كان أول الليل يتهجد ويتلو القرآن، ثم هجم عليه الخوارج وقتلوه رضي الله عنه في آخر الليل.

الشاهد من البيت قوله: تمنى كتاب الله، أي: تلاه، فالتمني يراد به التلاوة، فيكون المعنى (إذا تمنى): أي تلا الكتاب. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: يعني في تلاوته، كلمات يظنها السامع من كلام الرسول وهي من كلام الشيطان، ولكن الله له بالمرصاد يُبطل كلام الشيطان ويُحكم آياته سبحانه وتعالى؛ لأن الله حافِظ دينه وحافظ كتابه.

فالشاهد منها أن المشركين فرحوا لما ظنوا أن الرسول ﷺ وافقهم بالكلام الذي ظنوه من الرسول وهو من الشيطان، أنَّ طلب الشفاعة من الأصنام لا بأس به، ففرحوا بذلك، ثم إن الله ـ جل وعلا ـ أبطل ذلك، وبيَّن أنه لا تجوز عبادة غير الله عز وجل لأي قصد كان، طلبِ

. . . . . .

الشفاعة أو غيره، العبادة حق لله عز وجل، ولا يجوز عبادة غير الله لأي قصد كان، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] الله سمى هذا شركاً وأبطله، وما قال الرسول هذه الكلمات التي في القصة وإنما قالها الشيطان، وهذا من باب الابتلاء والامتحان لأجل أن يتميز الخبيث من الطيب، ثم إن الله يزيل هذه الفتنة ويبقي الحق. هذا قد جرى مع الرسل قبل محمد ﷺ، وجرى عليه مثلُ ما جرى على الرسل من قبله.

فهذا فيه دليل على بطلان اعتقاد عَبَدة القبور وغيرهم، الذين يعبدون القبور ويقولون: نحن نعلم أنهم لا يضرون ولا ينفعون، ولا يخلقون ولا يرزقون، وإنما هم صالحون نتوسط بهم إلى الله ونطلب منهم الشفاعة. وإننا لو أقررناهم على ذلك ما صار بيننا وبينهم خلاف، وإنما اشتدت العداوة بيننا وبينهم لما أنكرنا عليهم هذا واعتبرناه شركاً، كما أنكره الرسول ﷺ، وكما أنكره القرآن في آيات. هذا هو مقصود الشيخ من إيراد هذه القصة، فهو

الموضع الرابع: قصة أبي طالب، فمن فهمها حسناً وتأمل إقراره بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك. ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات [٢٧].

يقول إنهم يفرحون لو وافقناهم على هذا الكلام، وقلنا: ما دام أنكم ما تقصدون منها أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، وإنما قصدكم منها الشفاعة فهذا أمر لا بأس به.

[٢٧] أبو طالب عم الرسول ﷺ، لما توفي والد الرسول ﷺ عبد الله بن عبد المطلب، والرسول ﷺ حمل في بطن أمه، ثم لما ولد ﷺ كفله جده عبد المطلب؛ لأنه أصبح يتيماً فكفله جده عبد المطلب، ثم لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى به إلى ابنه أبي طالب، وأبو طالب قام بالواجب وحضن النبي ﷺ ورباه وأكرمه. ثم لما بعثه الله رسولاً إلى العالمين قام معه يحميه ويدافع عنه، ولقي الأذى من قريش في سبيل حماية دعوة الرسول ﷺ والدفاع عنه، وعرَّض نفسه للخطر والمجاعة، حتى إنهم حاصروهم في الشعب سنين وقاطعوهم، وقطعوا عنهم المؤن، وقطعوا

. . . . . .

عنهم الاتصال، ومعهم أبو طالب وصبر على هذا، وكان يمدح دين الرسول ﷺ ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة

لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

وفي لاميته المشهورة الطويلة التي أوردها ابن كثير في البداية والنهاية اعترف بأن محمداً رسول الله، وأنه صادق في رسالته، وأنه لم يمنعه من اتباعه إلا خشيةُ مسبةِ دين آبائه الذين كانوا على عبادة الأصنام، فأخذته الحمية الجاهلية في امتناعه من اتباع محمد ﷺ لئلا يجر على أشياخه المسبة. ثم لما حضرته الوفاة جاءه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعنده آخر من بني مخزوم.

فالرسول ﷺ قال له: «يا عم قل: لا إلا الله، كلمة أحاجَّ لك بها عند الله» فقال له أبو جهل ومن معه: أتترك دين عبد المطلب؟ فأعاد عليه الرسول، فأعادا: أتترك دين

. . . . . .

عبد المطلب؟ ثم كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ومات على ذلك. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] [التوبة: ١١٣] وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

فدل هذا على أن مدح الإسلام ومدح الرسول، واعتقاد أن الإسلام حق وأن الرسول حق من غير اتباع للرسول، أن ذلك لا ينفع، وأنه لابد من اتباع الرسول ﷺ؛ لأن هذا لو كان ينفع لنفع أبا طالب، فإن الإقرار بأن الإسلام حق وأن الرسول صادق، مع المدافعة عن الإسلام وحماية الإسلام، كل هذا لا ينفع إلا مع الاتباع، وإلا فإن النبي ﷺ يقول: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2]. فلا

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) و(٣٨٨٤) و(٤٦٧٥) و(٤٧٧٢) و(٥٦٥٧) و(٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) و(٤٢٠٤) و(٦٦٠٦)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة.

. . . . . .

بد من الاتباع، فلا تنفع المعاونة والمدح والحماية للإسلام وغير ذلك، ولا القرابة من الرسول بدون اتباع له، فهذا عم الرسول ﷺ لما مات على الكفر لم ينفعه الرسول ﷺ بإخراجه من النار رغم المحاولة، ومنعه الله من الاستغفار له. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾ لم يكتف بقوله: ﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ بل قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فهذا يدل على أن مدح الإسلام والثناء على الإسلام والمسلمين، وأنهم على حق وأن الكفار على

ثم صبره على المشقة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول لم يصر مسلماً، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم [٢٨].

باطل، وأن الشرك باطل، كلُّ هذا لا يكفي وأنه لابد من الاتباع، فمن كان يمدح الإسلام ويثني عليه ويمجده، وهو لم يترك الشرك بل يدعو غير الله، يدعو الأصنام والأضرحة والقبور، فإن هذه الأمور لا تنفعه ولا تفيده شيئاً، لو كانت تنفع وتفيد لأفادت أبا طالب عم الرسول ﷺ. فهذه مسألة دقيقة ينبغي التنبه لها.

[٢٨] هذا الذي منعه وهو النخوة والعصبية الجاهلية، منعته من الدخول في الإسلام ومات على الكفر، مع ما له من المواقف العظيمة في نصرة الحق والدفاع عنه، ومع ذلك لما لم يتبع الرسول ﷺ لم تنفعه هذه الأمور، إلا ما صح أنه خُفف عنه من عذاب النار، حيث أصبح في ضحضاح من نار بسبب شفاعة النبي ﷺ له[1]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) و(٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩) (٣٥٧) من حديث العباس رضي الله عنه.

ثم مع قرابته ونصرته استغفرله رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية [٢٩].

رواية: «في أخمص قَدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، ما يَرى أن أحداً من النار أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»(١) لم ينفعه ذلك في إخراجه من النار، فلا يتعارض هذا مع قوله تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] إنما نفعه في التخفيف عنه من العذاب فقط.

[٢٩] نستفيد من هذا أنه لا يكفي الإقرار بأن الإسلام حق، ولا يكفي المدافعة عن الإسلام، ولا يكفي ذم الشرك والمشركين، كل هذا لا يكفي إلا باتباع الرسول ﷺ، فمن لم يتبع الرسول ﷺ فإن هذه الأمور لا تنفعه. وبناء على ذلك، فإن هؤلاء الذين يُصلون ويَصومون

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦١) و(٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) من حديث النعمان بن بشير وليس فيه ذكر لأبي طالب وإنما هو في ذكر أهون أهل النار عذاباً.

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدين وبحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ولاله من الأعذار مثل ما لأبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين، تبين له الهدى من الضلال، وعرف سوء الإفهام، والله المستعان [٣٠].

ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقد يجاهدون الكفار، ولكنهم لا يتركون الشرك حول الأضرحة والقبور، ويستغيثون بالأموات، ويذبحون للقبور، فهؤلاء لا ينفعهم ذلك؛ لأن الشرك لا ينفع معه عمل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] ما دام إنه لم يتبرأ من المشركين، ولم يقاطعهم في الدين، فإنه لا ينفعه ذلك.

[٣٠] يقصد بذلك العلماء الذين في وقته، الذين عرفوا الحق وعرفوا التوحيد وعرفوا بطلان الشرك، لكن مع هذا لم يقوموا بالدعوة إلى الله والأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والإنكار على المشركين، لم يقوموا بذلك، هؤلاء

الموضع الخامس: قصة الهِجرة، وفيها من الفوائد والعِبَر ما لا يعرفه أكثر من قرأها [٣١].

مثل أبي طالب؛ لأنهم ما بذلوا الخير لهذا الدين، ولا دعوا إلى الله عز وجل، ولا بينوا للناس، بل كتموا العلم الذي عندهم وسكتوا عن الشرك وعاشوا مع المشركين.

[٣١] الهجرة: في اللغة مأخوذة من الهجر وهو الترك، قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] أي: اتركه، فالهجر هو الترك، ومنه هجر أهل المعاصي، وهجر المشركين يعني تركهم وعدم محبتهم، قال ﷺ: «المهاجرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهىٰ اللهُ عنه»[(١)] أي: ترك ما نهى الله عنه.

أما الهجرة في الشرع: فهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام لأجل الدين، هذه هي الهجرة الشرعية، والهجرة فيها فضل عظيم، وهي عديلة الإيمان والجهاد في سبيل الله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] فهذا مما يدل على عِظَمِ الهجرة.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨١)، والنسائي في الكبرى (٨٧٠١)، وابن حبان (٢٣٠)، وأحمد (٦٥١٥).

. . . . . .

والهجرة باقيةٌ إلى أن تقوم الساعة، فالذي لا يقدر على إظهار دينه في بلاد المشركين يجب عليه أن يهاجر إلى بلد يقدر فيه على إظهاره، فإن لم يهاجر وهو يقدر على الهجرة، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل فيه القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] هذا وعيد شديد مع أنهم مسلمون، لكن لما تركوا الهجرة بعذر محبة الأموال والأولاد والوطن، وقدَّموا محبة هذه الأشياء على الهجرة، فالله ـ جل وعلا ـ توعَّدهم بهذا الوعيد، وسبب نزول الآية: أنه لما كانت غزوة بدر كان مع المشركين أناس من المسلمين بقوا في مكة ولم يهاجروا شحاً بوطنهم وبلادهم وأموالهم وأولادهم، وهم يقدرون على الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا بهم معهم بغير اختيارهم، وألزموهم بالخروج معهم، ثم لما دارت المعركة قُتل أناس منهم وهم في صف الكفار، ولم يعلم المسلمون بهم، فلما علم المسلمون بهم ندموا وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل الله هذه الآيـــة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾

. . . . . .

يعني: ماالوطن الذي أنتم فيه، أي وطن؟ ما قالوا: كيف حالكم في الإيمان؟ أو ما يقينكم؟ ما سألوهم عن هذا، وإنما سألوهم عن المكان، (فيم كنتم؟) ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أجبرونا على الخروج بسبب ضعفنا ولا نقدر أن نمتنع ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ كان لكم مندوحة عن هذا، لو هاجرتم مثل ما هاجر إخوانكم لسلمتم من هذه الواقعة ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هذا وعيد ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الذين لا يقدرون على الهجرة، وبقوا في بلاد الشرك لأنهم ما يقدرون على الهجرة ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠] هذا في شأن هؤلاء، وهذه قصة عجيبة وعظيمة: أن هؤلاء مع إسلامهم وصدقهم في الإسلام، لما تركوا الهجرة من غير عذر حصل عليهم هذا الوعيد وهذا التوبيخ من الملائكة لما جاءت تقبض أرواحهم، فدل على أنه لا يجوز للموحد

ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر من غير شك في الدين وتزيين دين المشركين، ولكن محبة للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين، فقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه. فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شق عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى

المسلم أن يتساهل بهذا الأمر وأن يكون مع المشركين ولو من غير محبة لهم، لكن محبة لماله أو ولده أو بيته أو غير ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا﴾ يعني انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ هذا وعيد شديد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] فلا يجوز تقديم محبة الأموال والأولاد على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعلى الهجرة والجهاد في سبيل الله عز وجل. والكثيرُ من الناس يقرؤون هذه الآيات ولا يتدبرونها.

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠].

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا، علم أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين أو كلام في تزيين دين المشركين لم يقولوا: قتلنا إخواننا [٣٢].

فإن الله تعالى قد بيَّن لهم وهم بمكة قبل الهجرة أن ذلك كفرٌ بعد الإيمان، بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم، فإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمۡ﴾ ولم يقولوا: كيف تصديقكم؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا

---

[٣٢] فالصحابةُ ما قالوا: (إخواننا) إلا لأنهم مستقيمون على الدين، ما ذُكر عنهم أنهم مالوا مع المشركين أو مدحوا المشركين، بل يبغضون دين المشركين وكانوا على التوحيد، وكانوا مخلصين لله وليس فيهم نفاق، لكن تركوا شيئاً واحداً وهو الهجرة من غير عذر. فلامهم الله على ذلك.

﴿مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] [٣٣].

ولم يقولوا: كذبتم. مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: جاهدت في سبيلك حتى قُتلت. فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد[1] [٣٤].

---

[٣٣] فالملائكة ما سألوهم عن إيمانهم وعقيدتهم؛ لأنهم يعرفون أنهم على عقيدة صحيحة وعلى إيمان صادق، لكن سألوهم عن المكان الذي هم فيه، حيث لا يجوز لهم أن يبقوا فيه وهم يقدرون على الهجرة منه.

[٣٤] الملائكة لم تقل: كذبتم لستم مسلمين ولستم مؤمنين، بل قالوا: فيم كنتم؟ سألوهم عن المكان الذي هم موجودون فيه، موجودون حيث خرجوا مع المشركين ولو كانوا مكرهين؛ لأنهم هم السبب في تسلط الكفار عليهم، ولا يجوز مرافقتهم والخروج معهم حباً للمال

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٣)، والنسائي ٦/ ٢٣.

وأما هؤلاء فلم يُكذبوهم بل أجابوهم بقولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٨] [٣٥].

فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم، بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] [٣٦]. ومن فهم هذا الموضع

وللأهل، ومداراة لكي يبقوا على أموالهم.

[٣٥] يعني لايعذر إلا من ترك الهجرة عاجزاً عنها، فإنه معذور قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾ للخروج ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ إليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ هذا وعد من الله بالعفو عنهم.

[٣٦] نعم اختلاط المسلمين مع الكفار من غير عذر أمر لا يجوز، بل لا بد أن تتميز بلاد المسلمين عن بلاد الكفار، ولا يخالط المسلم المشرك، بل قال ﷺ:

والذي قبله فهم كلام الحسن البَصري، قال: ليس الإيمان بالتحلِّي ولا بالتمنّي ولكن ما وَقَرَ في القلوب وصدقته الأعمال [٣٧].

وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] [٣٨].

«لا تَتَراءى ناراهما»[١] أي: يَبعد عنه مهما أمكنه ذلك.

[٣٧] فالإيمان هو ما (صدقته الأعمال) ومنها الهجرة، لأنها من الأعمال، و هذا فيه رد على المرجئة الذين يقولون: إنه يكفي الإيمان بالقلب، أو بالقلب واللسان. فلا يكفي الاعتقاد والنطق بل لابد من العمل.

[٣٨] قوله (إليه) أي: إلى الله سبحانه وتعالى، (يصعد الكلم الطيب) من الذِّكر وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل، و كل كلام طيب فإنه يصعد إلى الله جل وعلا، والأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، كل هذا من الكَلم الطيب، والكلام الطيب مع الناس ومع

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) و(١٦٠٥).

الموضع السادس: قصة الردَّة بعد موت النبي ﷺ، فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء، وهي قولهم: هذا هو الشرك، لكن يقولون: لا إله إلا الله، ومن قالها لا يكفر بشيء [٣٩].

الأقارب ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] كل هذا من الكلم الطيب، يصعد إلى الله، لكن لايصعد بنفسه، بل لابد من العمل ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وفي هذا رد على المرجئة أيضاً.

[٣٩] يقول علماء الضلال: عبادة القبور والذبح لها والنذر لها ليس من الشِّرك، ما دام أنه يقول: لا إله إلا الله، فهذه الأمور لا تضره. هذا تناقض، كيف يقول: لا إله إلا الله ويدعو غير الله؟ إذاً ما معنى لا إله إلا الله؟، لا إله إلا الله ليست مجرد قول يقال باللسان، بل لا بد أن يكون قولاً ومعه عمل؛ لأن لا إله إلا الله كلمة عظيمة لها معنى ولها مقتضى، ومقتضاها أن يُخلص المَرْءُ العبادة لله عز وجل، وأن يترك عبادة غير الله، فالذي يقولها ولم يترك عبادة غير الله لا تنفعه كلمة لا إله إلا الله، كما يقولون،

. . . . . .

وربما يستدلون بالمتشابه من النصوص، مثل قوله ﷺ في حديث البطاقة التي فيها: لا إله إلا الله، وأنها تثقل بالسيئات، وأن صاحبها يدخل الجنة[١]، هذا حديث عن الرسول ﷺ، لكن يُرد إلى الأحاديث الأخرى التي تقيده، لا يؤخذ طرف ويُترك طرف كما قال الله في أهل الزيغ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فالراسخون يردون المتشابه إلى المحكم. والأحاديث التي ظاهرها: أن لا إله إلا الله تكفي من قالها، تُرد إلى الأحاديث التي فيها أن لا إله إلا الله لابد لها من قيود، مثل قوله صلى الله ﷺ: «مَنْ قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله»[٢] والذي يدعو أصحاب القبور لم يكفر بما يُعبد من دون الله. حتى لو لم يذبح للقبور ولم ينذر لها، بل قال: إن هذا ليس بشرك. هذا لا تنفعه لا إله إلا الله؛ لأنه صحح الشرك وأقره، فهذا ما فهم

(١) حديث البطاقة أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢).

. . . . . .

معنى لا إله إلا الله. ولهذا يقول (الشياطين المسمون بالعلماء) الذين يأخذون المتشابه ويستدلون به، ويقولون: من قال: لا إله إلا الله، لو فعل ما فعل من الشرك هو من أهل الجنة. والرسول ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله» ويقول: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[١]. ويقول الله عز وجل: «يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»[٢] قيَّد ذلك بالسلامة من الشرك. وهذه الأحاديث يُرد بعضها إلى بعض؛ لأنها كلها كلام الرسول ﷺ، والآيات تُرد بعضها إلى بعض لأنها كلها كلام الله، وبعضها يُفسر بعضاً ويقيد بعضاً ويوضح بعضاً. أما أن نأخذ طرفاً ونترك طرفاً آخر فهذه طريقة أهل الزَّيغ. وإن قال: أنا أستدل بكلام الرسول. فنقول له: كذبتَ، أنت لم تستدل بكلام الرسول، أنت تستدل بالمتشابه منه، ولم ترده إلى المحكم.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤) و(٦٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس.

وأعظم من ذلك وأكبر تَصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شَعرة ولكن يقولون: لا إله إلا الله[٤٠]، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام [٤١].

---

[٤٠] البوادي: هم جمع بادية وهم الأعراب الرحل يقول: هؤلاء الضلال «البوادي» ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون الإسلام، لكن ما داموا يقولون: لا إله إلا الله فهذا يكفيهم.

[٤١] فالضُّلّالُ يقولون: يكفي أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فمجرد قولها يدخلهم في الإسلام. يقولون هذا وهم معترفون أنهم ما معهم من الإسلام شعرة، لا يصلون ولا يصومون ولا يعملون شيئاً من الأعمال الصالحة، فقط هم يقولون: لا إله إلا الله. يا سبحان الله! لا إله إلا الله ليست مجرد كلمة، لو كان هذا هو الإسلام صار كلُّ الناس مسلمين. الرسول ﷺ لما قال لهم: «قولوا كلمةً تَدينُ لكم بها العرب، وتؤدي لكم بها العَجم الجزية» قالوا: خُذ وأبيك ألف كلمة، ما هي؟ قال: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[1] [ص: ٥]

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٤٥، وابن كثير في البداية والنهاية =

وحرَّمَ الإسلامُ مالَهم ودمَهم. مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله [٤٢]. ومع علمهم بإنكارهم

عرفوا أنهم لو قالوا: لا إله إلا الله، تركوا عبادة الأصنام، وهم لا يريدون ذلك. هم يحسبونها كلمة فقط أيَّ كلمة، فلما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» وهم عرب فُصحاء يعرفون معنى هذه الكلمة، وأنها تلزمهم بترك عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا..﴾ [ص: ٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

[٤٢] يقول علماء الضلال: حرم الإسلام دمهم ومالهم ـ يعنون البوادي التي ليس عندها من الإسلام شعرة ـ لأن الرسول ﷺ يقول: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»[(١)] لكنهم لا يجيئون بآخر الحديث: «إلا بحقها» أي: لابد من

= ٤/٣٠٨ من حديث ابن عباس.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٠)، ومالك في الموطأ ١/ ٢٦٩، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي ٥/ ١٤ من حديث أبي هريرة.

البعث، واستهزائهم بمن أقر به [٤٣].

واستهزائهم وتفضيلهم دين آبائهم المخالف لدين النبي ﷺ. ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم ذلك كله؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله. ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها [٤٤] وأيضاً كُفر هؤلاء

العمل؛ لأن حقها العمل.

[٤٣] ويقولون: إذا قال: لا إله إلا الله وهو يُنكر البعث، يصير مسلماً! فهؤلاء مسلمون ما دام أنهم يقولون: لا إله إلا الله ولو أنكروا البعث. ما هذا التناقض والعياذ بالله؟! والذي يقول هذا ليس من العوام، إنهم علماء، علماء في الفقه والنحو والصرف، لكن في العقيدة ما عندهم ولا حبة خردل من العلم الصحيح. عقيدتهم عقيدة المتكلمين، ولا يدرسون التوحيد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، وإنما يدرسون قواعد المنطق، وعلم الكلام، وعقائد المتكلمين الذين يقولون: يكفي أنك تقر بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فقط هذا هو التوحيد عندهم.

[٤٤] اليهود يقولون: لا إله إلا الله، لكن لما لم يعملوا

أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة، أعني البوادي المتَّصفين بما ذكرنا.

والذي يُبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردتهم، فمنهم من كذب النبي ﷺ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا: لو كان نبياً ما مات [٤٥]. ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقر بنبوة مُسَيلمة [٤٦].

بها صاروا أغلظ الأمم كفراً والعياذ بالله. ومثلهم من اعتقد هذه العقيدة.

[٤٥] المرتدون لا شك في كفرهم، ولم يحصل عند الصحابة خلاف في كُفرهم، وهم صنفان، الصنف الأول: الذين يقولون: (لو كان نبياً ما مات) وكونه مات هذا دليل على أنه غير نبي. فارتدوا عن الإسلام؛ لأنهم كفروا برسالة محمد ﷺ.

[٤٦] الصنف الثاني: من أقر بالشهادتين وأن محمداً رسول الله، لكن أقر بنبوة مسيلمة، قال: إن مسيلمة نبي. فهؤلاء لا تنفعهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول

ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة [٤٧]؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك [٤٨]، فصدقهم كثير من الناس. ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك [٤٩]. ومن شك في

الله، إذا أقروا بنبوة مسيلمة الكذاب فليسوا مسلمين، وهذا بالإجماع؛ لأنهم جَحدوا ختم النبوة بمحمد ﷺ، حيث يقول جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وصدقوا المتنبئ الكاذب.

[٤٧] لأن مسيلمة الكذاب يقول: إن الرسول أشركني في النبوة، وصدقوه في هذه الكلمة.

[٤٨] وشهد له بعض الشهود أن الرسول أشركه في الأمر، شهادة زور والعياذ بالله. وكذبوا صريح القرآن بختم النبوة بمحمد، وقوله ﷺ: «أنا خاتم النَّبيين لا نبي بعدي»[(١)]

[٤٩] الذي يقول: إنه يُبعث بعد الرسول نبي يكون كافراً بالإجماع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) و(٢٩٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وأحمد (٢٢٣٩٥) من حديث ثوبان.

ردتهم فهو كافر [٥٠].

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله ﷺ، هم ومن أقر بنبوة مُسيلمة في حال واحدة ولو ثبت على الإسلام كله [٥١]. ومنهم من أقر بالشهادتين وصدق طُلَيحة في دعواه النبوة [٥٢].

---

[٥٠] لأنه لم يُكفرِّ المشركين وقال: يمكن أن يكونوا صادقين، وما جزم أنهم على الباطل، بل قال: أنا لا أدري، أنا لا أكفر الناس. نقول: لا.. لابد أن تعرف الحق من الباطل، لابد أن تعرف الكفر من الإيمان وتميز المسلم من الكافر، لابد من هذا، وإلا ما معنى الإسلام؟

[٥١] أي: من لم يكفِّر المشركين فهو مثل من يقر بنبوة مسيلمة الكذاب ولو كان يؤدي الإسلام كله، إذا قال: إن مسيلمة صادق، صار مرتداً عن دين الإسلام. وهذا بالإجماع.

[٥٢] طليحة ممن ادعى النبوة، وصدقه قومه وقاتلوا الصحابة معه، ثم إن الله منَّ على طليحة وعاد إلى

ومنهم من صدق العَنْسي صاحب صنعاء [٥٣]. وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء، ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة، ومنهم أنواع أخر [٥٤].

آخرهم الفجاءة السُّلمي، لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين، وطلب من أبي بكر أن يمده، فأعطاه سلاحاً ورواحل، فاستعرض

الإسلام، وتاب إلى الله عز وجل، وقُتل في حروب الفرس مع المسلمين.

[٥٣] الأسود العنسي، في اليمن. قتله عبد الله بن فيروز الديلمي في آخر حياة النبي ﷺ، وأما مسيلمة فإنه قاتله الصحابة في حرب اليمامة بقيادة خالد بن الوليد حتى قتلوه.

[٥٤] فالمرتدون أنواع ومن صدق أحداً منهم، فهو كافر وإن كان يشهد أن لاإله إلا الله، فلا تنفعه لاإله إلا الله بمجرد النطق، وأشد كفراً من هؤلاء من يقول: لاإله إلا الله، ثم يعبد الأولياء والصالحين.

السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم: أنت أمير أبي بكر وأنا أميره، فلم أكفر. فقال: إن كنت صادقاً فألقِ السلاح. فألقاه، فبعث به إلى أبي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي.

فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنك بمن لم يُقر من الإسلام بكلمة واحدة إلا أن يقول: لا إله إلا الله، بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب الله تعالى؟ ويقولون: هذا دين الحضر ودِيننا دين آبائنا، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله، إذا قالوا: لا إله إلا الله. سبحانك هذا بهتان عظيم [٥٥].

---

[٥٥] الذين يقولون: إن الإسلام دين الحضر، أما نحن فعلى دين آبائنا ما نحن على دين الحضر. ويقول علماء الضلال: هؤلاء مسلمون؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله،

وما أحسن ما قاله واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام، قال: أشهد أننا كفار - يعني هو وجميع البوادي - وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر [٥٦].

تم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم [٥٧].

وهم يتبرؤون من دين محمد ويقولون: هذا دين الحضر.

[٥٦] هذا أعرابي جاء لدرس الشيخ، ولما عرف الإسلام معرفة صحيحة شهد على نفسه قبل أن يعرف الإسلام وعلى جماعته أنهم كفار، وشهد أن المطوع يعني العالم الذي يقول: إنكم مسلمون، أنه كافر؛ لأنه حكم لهؤلاء الكفار بالإسلام وما أكثر أشباهه.

[٥٧] غفر الله له وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، لقد بيَّن ووضح رحمه الله.

الأسئلة :

- **سؤال: فضيلة الشيخ، ما هي الأمور التي ينبغي أن يُركز عليها طالب العلم، هل يبدأ بكتب العقيدة؟**

الجواب: يبدأ بالأسهل فالأسهل، يبدأ بالمختصرات ويقرأها على المشايخ، ثم يترقى إلى الكتب التي هي أوسع منها، وهكذا. لا يذهب للكتب المطولة من أول الأمر، وإنما يترقى إليها شيئاً فشيئاً، يتدرج إليها شيئاً فشيئاً.

- **سؤال: ما رأيكم في قول من قال: إن من أتى بالشرك والكفر لا يُكفر إلا بعد معرفته بالأمر كله؟**

الجواب: إذا كان مثله يجهل؛ لأنه في بلد منقطع ما بلغه شيء، فإنه يُعذر، أما إذا كان في بلاد المسلمين ويسمع القرآن ويسمع الأحاديث ويسمع كلام أهل العلم، فهذا لا يُعذر بالجهل؛ لأنه قامت عليه الحجة.

- **سؤال: ما حكم السفر إلى بلاد إسلامية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر، وتباع فيها الخمور**

والأغاني، وفيها التبرج والاختلاط، بغرض النزهة والسياحة؟

الجواب: البلد غير الملتزِم، والتي فيها الفواحش والشرور علانية، لا يجوز للإنسان أن يسافر إليها؛ لأنه يتأثر بما فيها من الشر، ويصيبه ما أصاب أهلها.

- **سؤال: هل يجوز رواية الحديث الضعيف مع عدم بيان حاله لأن الناس لا يفهمون؟**

الجواب: الحديث الضعيف ذكر العلماء له ضوابط:

أولاً: أن لا يُنسب إلى الرسول ﷺ على طريق الجزم، إنما يقال: يُروى عن رسول الله، ورد عن رسول الله كذا، ولا يقال: قال رسول الله ﷺ كذا.

ثانياً: أن لا يُبنى عليه حكم مستقل، وإنما الأحكام تُبنى على الأدلة الصحيحة، فلا يُبنى عليه حكم مستقل من تحليل أو تحريم.

ثالثاً: أن يكون ذكره بمجال الوعظ والتذكير فقط، يُذكر على سبيل الوعظ والتذكير فقط؛ لأن الوعظ والتذكير مطلوبان.

وشرط رابع أيضاً: وهو أن لا يكون ضعيفاً شديد الضعف.

- **سؤال: هل هناك هجرة في عصرنا هذا، وإذا كان فلا بد من مسكن ومأكل ولا يمكن أن يحصل هذا.....**

الجواب: الهجرة باقية، يقول الرسول ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها»[1] الهجرة باقية، فإذا كان لا يقيم دينه في مكان، فإنه يذهب إلى المكان الذي يتمكن فيه من إقامة دينه مع المسلمين، وإذا قُدر أنه ما يقدر على أنه يذهب لبلاد المسلمين، يذهب إلى البلاد التي يتمكن فيها من إقامة دينه ولو كان البلد بلدكفر؛ لأن بعض الشر أهون من بعض. والصحابة هاجروا إلى الحبشة وهم نصارى؛ لأنهم يقدرون على إقامة دينهم هناك، ويسلمون من أذى المشركين. والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وإذا كان هناك بلاد فيها أقلية إسلامية أو مسلمون كثيرون، فإنه يذهب ويصير معهم ولو كانوا في بلاد كفار، إذا لم يتمكن من بلاد المسلمين، فإنه يخفف الشر مهما أمكن.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧١)، والبزار (١٠٥٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

● **سؤال: فضيلة الشيخ، بعض الناس عندما يبني بيتاً جديداً يذبح عند عتبة الباب تبركاً ورداً للعين، وهو يجهل أن هذا من الذبح لغير الله الذي هو الشرك، فهل هذا يكفر؟**

الجواب: هذا يؤمر بالتوبة، يقال له: هذا شرك عليك التوبة إلى الله، لأن من فعل الشرك فهو مشرك.

● **سؤال: فضيلة الشيخ هذه امرأة تسأل وتقول: إن الطبيب أخبرها أن الحمل في المستقبل سوف يؤثر على وظائف الكبد، وسوف يؤثر على عظامها، وأخبرها أنها تمتنع عن الحمل ولو في وقت.....، فهل يجوز لها ذلك؟**

الجواب: إذا قرر طبيبان ثقتان أن الحمل فيه خطر عليها، فإنها تعمل ما يمنع الحمل، لقوله ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرار»[1] ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فالمهم ثبوت هذا.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٥)، والبيهقي (٦/٦٩، وابن ماجه (٢٣٤١)، والدارقطني ٤/٢٢٨، والطبراني (١١٨٠٦) من حديث ابن عباس، وله شواهد عن عددٍ من الصحابة.

● **سؤال: هل يجوز الخروج للجهاد دون موافقة الوالدين؟**

الجواب: لا يجوز الخروج للجهاد إلا برضا أبيك وأمك؛ لأن النبي ﷺ جاءه رجل يريد أن يجاهد، فقال له: «أَحَيٌّ والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[١] فلابد من رضا الوالدين.

● **سؤال: هل يُعذر بعض الكفار الآن بالجهل لعدم وصول الإسلام إليهم، وخاصة إذا ولد مولود لأبوين كافرين ولم يعرف شيئاً عن الإسلام؟**

الجواب: الإسلام انتشر الآن وبلغ المشارق والمغارب، خصوصاً بعد تطور وسائل الإعلام، وصار العالم الآن كالبلد الصغير، انتشر الإسلام بوسائل الإعلام، القرآن أصبح يُتلى بأعلى الأصوات في جميع القارات، في الأول الإسلام بلغ بالجهاد في المشارق والمغارب، فلما انقطع الجهاد في هذا الزمان وفر الله وسائل الإعلام هذه، لتقوم الحجة على الخلق؛ لئلا يقول أحد: والله أنا ما دريت ولا سمعت شيئاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).

● **سؤال: يقول النبي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.....»[١] الحديث، السؤال: كيف نوفق بين هذا الحديث وبين وجود العديد من الفرق يتعدى الثلاث والسبعين فرقة؟**

الجواب: هذه أصول الفرق، ثم إنها تشعبت وتفرقت فرقاً كثيرة، لكن أصولها ثلاث وسبعون فرقة كما أخبر النبي ﷺ.

● **سؤال: كيف يكون الجهل بالله سبباً للشرك بالله؟**

الجواب: الجهل بالله سبب لكل شر من الشرك وغيره، فلابد من معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته، ومعرفة حقه علينا، وما أوجبه علينا وما حرمه علينا، لابد من معرفة هذا معرفة تامة.

● **سؤال: هل يؤخذ من تعبد النبي ﷺ في الغار العزلة**

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤)، وأبو يعلى (٤١٢٧) من حديث أنس

في هذا الزمن الذي كثر فيه الشرك، وقل الإيمان وطلبُ العلم والتطفل على العلماء، وهل توصون بهذا؟

الجواب: العلماء قسموا العزلة إلى قسمين:

القسم الأول: الإنسان الذي يخالط الناس من أجل الدعوة إلى الله ومن أجل التعلم، هذا لا تجوز له العزلة، بل يجب عليه أن يعلم الخير وأن يدعو إلى الله وأن يخالط الناس من أجل التأثير عليهم ونصيحتهم، فلا يجوز له العزلة.

القسم الثاني: الذي ليس له تأثير ولا له فائدة، إذا خالط الناس بل هو يتضرر، فهذا العزلة خير له؛ لأن اختلاطه بالناس لا يفيده ولا يفيد الناس أيضاً.

- **سؤال: ما رأيكم فيمن يصف مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في الفقه والعقيدة ويقول: هي فيها تكرار؟**

الجواب: هذا بين أمرين: إما أنه جاهل لم يكن درسها ولا يدري عنها، والواجب عليه قبل أن يحكم على الشيء أن يدرسه أولاً ويعرفه، ولا يحكم عليه وهو يجهل، الأمر الثاني: أن يكون عنده ضلال، وهذه الكتب تنكر عليه